

كيف

نغرس شجبة الإيمان؟



سعيد بن محمد آل ثابت

الألوكة

www.alukah.net

كيف

نغرس شعب الإيمان؟

١. المقدمة

٢. شعب الإيمان

٣. دور المرابي في غرس شعب الإيمان

٤. لمحات للمنهج النبوي في غرس شعب الإيمان

٥. الخاتمة

أولاً: المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله،

إيماناً بهيمنة هذه الشريعة على قلوب أتباعها، وسحرها لمهج مراقبيها، وأحقيتها في سيادة العالم وإصلاح المجتمعات لتأهلها الشامل الكامل؛ وسعيًا لإيجاد الطرق والوسائل في تأسيس أصولها في قلوب الخلق، وتعزيز مفاهيمها وتطبيق شرائعها، كان هذا المبحث الميسر، والذي يرسم شيئاً من الحياة الرسالية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وكيف كان يؤسس تلك المعاني والآثار، وعبرت عنها ب: كيف نغرس (شعب الإيمان)^١، تيمناً بهذا المسمى النبوي، لاقتفاء أثره وتحقيق سنته. وسيكون عرض الوسيلة مع شرح مبسط لها، وتعقيب ذلك بنماذج، وتعليق يسير، وذلك بعد التعريف بشعب الإيمان، ودور المربي فيها.

و(شعب الإيمان) لفظ معجز في عمقه وشموله، والإيمان: (المقصود به العموم والخصوص بالنسبة إلى ما في الباطن والظاهر من الإيمان، وأما العموم بالنسبة إلى الملل، فتلك مسألة أخرى، فلما ذكر الإيمان مع الإسلام، جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة: الشهاداتان، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وجعل الإيمان ما في القلب من الإيمان بالله، وملائكته، ورسله، واليوم الآخر، وهكذا في الحديث الذي رواه أحمد، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "الإسلام علانية، والإيمان في القلب"، وإذا ذكر اسم الإيمان مجرداً، دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة، كقوله في حديث الشعب: "الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق" متفق عليه، وكذلك سائر الأحاديث التي يجعل فيها أعمال البر من الإيمان)^٢، واستغنيت عن المصطلحات المتأخرة ومن أشهرها مصطلح القيم، والقيم (لغة): تشمل الاستقامة، والدوام، والاعتدال، وتحقيق العدل، والثبات، وتقويم المتاع. وينظر البعض إليها على أنها مجموعة من المعايير أو تفضيلات مختارة أو حاجات أو معتقدات. ويتفقون على أنها: مصدر متفق عليه اجتماعياً، لها تأثير كبير في السلوك، ويختارها الفرد بجرية، وكونها أيضاً مكتسبة. واختلفوا في مصدريتها وحقيقتها. وبالتالي فنقول: هي مجموعة من المعتقدات والتصورات المعرفية والوجدانية والسلوكية الراسخة، يختارها الإنسان بجرية بعد تفكير وتأمل، ويعتقد بها اعتقاداً جازماً تشكل لديه منظومة من المعايير يحكم بها على الأشياء، يصدر عنها سلوك منظم، يتميز بالثبات والتكرار، والاعتزاز. وصنفت القيم على حيثيات عديدة: قيم روحية وعقدية، قيم خلقية، قيم عقلية، قيم اجتماعية، قيم انفعالية ووجدانية، قيم مادية، وقيم جمالية. ولا مشاحة في الاصطلاح، ولكنها في الجملة نشأت في بيئة ليست بيئتنا، وبلغة ليست لغتنا وقامت بعضها على فسلفات قد تصادم عقيدتنا، وحاول بعض المباركين من

^١ الشُّعْبَةُ: الخصلة أو الجزء. أي أن الإيمان ذو خصال متعددة.

^٢ "الإيمان"؛ لابن تيمية.

أهل الغيرة والصلاح أسلمتها وإسقاط تلك المفاهيم عليها، وهي جهود تذكر فتشكر، وفي الجملة نحن في غنى عنها، لا سيما وقد أتى رسول الله بهذه الشريعة بيضاء نقية.

ومن أبرز ما يميز شعب الإيمان (قيم الإسلام تجوذاً):

١. ربانية المصدر: فالقرآن والسنة منبع لها، وأي ضلال سيصيب المرتوي منهما، قال الحق تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، ويقول الله جل وعلا: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تركتم فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما ما تمسكنم بهما، كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض" أخرجه مالك مراسلاً، والحاكم مسنداً وصححه.

٢. الواقعية: وذلك أنها مناسبة لجميع الناس والأحوال والأزمنة والأماكن، وأيضاً لم يكلف الإنسان إلا وسعه وطاقته، وكلٌ بحسبه ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فهي سهلة التناول قريبة المنال، واقعية الخطاب والمطالب.

٣. الثبات: ثباتها مستمد من ثبات مصدرها المستقل، ولا يقتضي التجميد بل الدفع بالحركة داخل الإطار الثابت.

٤. الشمول: فهي تراعي عالم الإنسان ومراحل عمره واحتياجاته وكل ما يحيط بذلك.

٥. الإنسانية والعالمية: هدفها إعداد الإنسان الصالح وليس المواطن الصالح، فتتعامل مع الناس على أهم مخلوقون من أصل واحد، وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم فتح مكة، فقال: "يا أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاطمها بآبائها فالناس رجالان: برّ تقيّ كريم على الله، وفاجر شقيّ هين على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من التراب، قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]" رواه الترمذي وصححه الألباني، فالتمييز على أساس التقوى، "إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

٦. التوازن: فهي تراعي احتياجات الإنسان، وتلبي تطلعاته، وتوازن في نظره للحياة بين نظره القاصرة للعالم العاجل مع النظرة المفترضة للآخرة.

٧. الإيجابية والفاعلية^٣. قال الحق تعالى في معرض الحديث عن قالوا آمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، فكان من التوجيه أن الإيمان ليس مجرد مشاعر وحديث، بل فاعلية وأثر وبذل وتضحية.

إذن حديثنا عن شعب الإيمان لأهميتها في دين العبد ودينه، فهي تمثل العسكر الداخلي عن حياض المقاصد الشرعية وضرورات الدين، سيما ومصدرها الوحي المنزه المعصوم، وهي رسالة الأنبياء والرسل لأقوامهم حين دعوا للتوحيد وإقامة العدل والقسط والصدق والعفة وغيرها من تعاليم الشرائع، وهي رسالة القرآن وهو يدعو للتي هي أقوم وأصلح وأزكى، والمتربي سيما المكلف أحق من تكثف له الجهود، بهذا الصد.

ثانياً: شعب الإيمان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان" رواه البخاري ومسلم، اعتنى الأئمة بهذا الحديث واعتبروه أصلاً لإدخال الطاعات في الإيمان وعدوها من شعبه وألفوا في ذلك بعض المصنفات، ومن أغزرها (المنهاج في شعب الإيمان) للإمام أبي عبد الله الحلي واختصره الإمام البيهقي في كتاب (الجامع لشعب الإيمان) مع عنايته بالأسانيد خلافاً للحلي، واختصر كتاب البيهقي الإمام القزويني وجميعهم عدوا سبعاً وسبعين شعبة من شعب الإيمان مع شرحها. ومن اعتنى بحصر شعب الإيمان الإمام اللالكائي فقد ذكر في كتابه (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) اثنتين وسبعين خصلة من خصال الإيمان وذكر تحت كل خصلة ما يناسبها من الأحاديث^٤. وعد الإمام ابن بطه في الإيمان سبعين شعبة سرداً دون ذكر أدلتها^٥. وقال أبو حاتم بن حبان: (تتبع معنى هذا الحديث مدة وعددت الطاعات فإذا هي تزيد على العدد شيئاً كثيراً فرجعت إلى السنن فعددت كل طاعة عدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإيمان فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين فرجعت إلى كتاب الله فقرأته بالتدبر وعددت كل طاعة عدها الله تعالى من الإيمان فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين، فضمنت الكتاب إلى السنن وأسقطت المعاد فإذا هي كل شيء عده الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم من الإيمان تسع وسبعين شعبة لا يزيد عليها ولا تنقص فعلمت أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم في (الكتاب والسنن)^٦. وعدها أيضاً الحافظ ابن حجر فقال: (هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن، فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات وتشتمل على أربع وعشرين خصلة ثم ذكرها

^٣ انظر "مبحث (فريضة الفاعلية) على الشبكة، للمؤلف.

^٤ انظر "شرح أصول اعتقاد أهل السنة"، (٥/٩١١-٩٤٠).

^٥ انظر "الإبانة"، لابن بطه (٢/٦٥٠-٦٥٢).

^٦ نقلاً عن شرح صحيح مسلم للنووي (٢/٥٠٤).

وأعمال اللسان وتشتمل على سبع خصال ثم ذكرها وأعمال البدن وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة ثم ذكرها، إلى أن قال: فهذه تسع وستون خصلة ويمكن عدّها تسعاً وسبعين خصلة باعتبار أفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر. والله أعلم^٧، وأخيراً نقل كلاماً للقاضي عياض قال فيه: (وبقي بين هذين الطرفين - أي الشهادتان وإمطة الأذى - أعداد لو تكلف المجتهد تحصيلها بغلبة الظن وشدة التتبع لأمكنه وقد فعل ذلك بعض من تقدم، وفي الحكم بأن ذلك مراد النبي صلى الله عليه وسلم صعوبة، ثم إنه لا يلزم معرفة أعيانها، ولا يقدح جهل ذلك في الإيمان، إذ أصول الإيمان وفروعه معلومة محققة والإيمان بأنها هذا العدد واجب في الجملة)^٨.

الإيمان شعب، والكفر شعب:

قال الإمام الخطابي: وفي هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء له أدنى وأعلى، فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع شعبها وتستوفي جملة أجزائها، كالصلاة الشرعية، لها شعب وأجزاء، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها^٩. ويقول الإمام ابن القيم: (الإيمان أصل له شعب متعددة، وكل شعبة تسمى إيماناً، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والحج والصوم، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل.. وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إمطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها ما يلحق بشعبة الشهادة، ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إمطة الأذى، ويكون إليها أقرب، وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر... والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان. وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية. ومن شعب الإيمان القولية شعب يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان، وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية. فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختياراً - وهي شعبة من شعب الكفر - فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل^{١٠}. (وإذا كان الإيمان مشتملاً على شعب متعددة، ومتفاوتة، فإنه يتضمن بناء على تفاوت شعبه أركاناً، وواجبات، ومستحبات، وكما يقول ابن تيمية: الإيمان: مركب من أصل لا يتم بدونه، ومن واجب ينقص بفواته نقصاً يستحق صاحبه العقوبة، ومن مستحب يفوت بفواته علو الدرجة، فالناس فيه ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق،

^٧ "فتح الباري"، (١/٥٢-٥٣).

^٨ نقلاً عن "شرح صحيح مسلم"، للنووي.

^٩ "معالم السنن" بحاشية سنن أبي داود، (٥/٥٦).

^{١٠} "كتاب الصلاة"، لابن القيم: ص: (٥٣-٧٠) بتصرف.

كالحج وكالبدن والمسجد وغيرها من الأعيان والصفات، فمن أجزائه ما إذا ذهب، نقص عن الأكمل، ومنه ما نقص عن الكمال، وهو ترك الواجبات أو فعل المحرمات، ومنه ما نقص ركنه وهو ترك الاعتقاد والقول^{١١}.
فينبغي للمسلم أن يسارع ويُسابق في الخيرات، والعبد إذا اجتهد في خصلة من خصال الخير، لا يقول يقيناً: إنَّ هذه هي الشُّعْبَةُ المرادة، بل يجتهد في جميع خصال الخير؛ حتى يستكمل جميع الشُّعْبِ؛ روى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أربعون خصلة أعلاهنَّ مَنِيحَةُ العَنْزِ، ما من عاملٍ يعمل بخصلة منها رجاءً ثوابها، وتصديق موعدها، إلَّا أدخله الله بها الجنة"، قال حسان: فعَدَدْنَا ما دون مَنِيحَةِ العَنْزِ من رَدِّ السلام، وتشميت العاطس، وإماطة الأذى عن الطريق ونحوه، فما استطعنا أن نبلغ خمس عشرة خصلة".

وهذا يبيِّن كثرة طرق الخير في هذه الشريعة، وأنه لا حصر لها؛ فمَهْمَا اجتهد العبد وعَمِلَ لِنِ يُحْصِيَ طرق الخير؛ كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث ثوبان رضي الله عنه: "استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلَّا مؤمن" رواه ابن ماجه، وهذا هو الواجب على المؤمن أن يجتهد في تحصيل خصال الخير، لكنَّه لن يحصيها؛ ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما عند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "إنَّ الدين يُسر، ولن يُشاد الدين أحدٌ إلَّا غلبه؛ فسَدِّدُوا وقاربوا وأبشروا".

فالمقصود أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ هذه الشُّعْبَ العظيمة، وأتَمَّ كالأصول وتحتها فروع تتفرَّع منها؛ جاء ذكرها في الأخبار الواردة عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "مَنْ أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة، دُعي من باب الصلاة، ومَنْ كان من أهل الجهاد، دُعي من باب الجهاد، ومَنْ كان من أهل الصيام دُعي من باب الرِّيَّان، ومَنْ كان من أهل الصَّدَقَةِ، دُعي من باب الصدقة"، فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على مَنْ دُعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كِلَيْهَا؟ قال: "نعم، وأرجو أن تكون منهم"، وكذلك ما جاء في غيرها من الأخبار من الإصلاح بين المتخاصمين، وحمل المتاع للإنسان، ودلالة الضال، وما أشبه ذلك من خصال الخير وشُعب الإيمان، فينبغي للمسلم أن يجتهد في تحصيلها، خاصة في مثل هذا الوقت الذي تكون الضرورة في الاجتهاد في خصال الخير من الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة والكلمة الطيبة، وما أشبه ذلك من أشدِّ الضرورات، خصوصاً مع توفُّر الوسائل عبر الاتصالات الحديثة التي تسهَّل له وتُعِينه على تحصيلها؛ فهذا جديرٌ بالمؤمن أن يجتهد في تحصيل هذه الشُّعْبِ وخصال الخير، أو ما تيسَّر منها؛ حتى يجوزَ الخير ويحصل على الأجر العظيم، والله عزَّ وجلَّ

١١ انظر "مجموع الفتاوى"، ص: ٦٣٧.

شاكر حلیم علیم؛ فأسأله - سبحانه وتعالى - أن يُعيننا على خصال الخير، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وفي ما نأتي ونذر.

ثالثاً: دور المرابي في غرس شعب الإيمان:

ونجمل دور المرابي في تعزيز شعب الإيمان من خلال تجميع العاطفة الإيمانية وتوجيه المترين نحو أعمال العقل والسعي إلى المصادر التي تشد في الفرد البحث، كما يقع على عاتقه تحديد ما يريد بدقة وبطريقة مبسطة، وأن يحرص على توفير المناخ المناسب لذلك، ومن المهم أن يكون أسوة حسنة؛ لأن ذلك طريق إلى بناء الشخصية السوية، وعمل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل، ومن المهمات أن يعودهم على الاحتكام للقرآن والسنة في تقييم المواقف والممارسات والسلوك بشكل عام، و من ثم حثهم على حفظ الآيات والأحاديث التي تحمل في ثناياها شعب الإيمان، وأن يكون قبل ذلك على علم ومعرفة بما يدعو إليه، ويجيد الأساليب المناسبة لتأسيس وغرس هذه الشعب وهو ما سنتعرض له في المحور القادم.

رابعاً: لمحات للمنهج النبوي في غرس شعب الإيمان:

بداية لا يفوتنا التنبيه على أقسام الأهداف التعليمية، في مستوياتها الثلاث المشهورة (المعرفية، الوجدانية أو الانفعالية، والحركية) كما في الجدول التالي:



وعند التأمل فيها، يجد المرابي فيها تنظيمًا عملياً في ترتيب القيم المراد غرسها، لا سيما عند تحديد المرحلة العمرية ومناسبتها مع القيمة أو الشعبة المطروحة. فعلى سبيل المثال من المفترض أن لا تخلو خطة المرابي من هذه المسارات المعرفة والوجدان والحركة، فلا يستساغ أن نأخذ بـحُجز الشاب مبكراً ليوم الجمعة وهو لم يعرف فضيلة التبكير، ولم

يجب ذلك، ولم يطبقه على سبيل التدرج، وكذلك الفتاة لا يمكن أن تفاجأ برمي الجلباب عليها لتحتجب، قبل أن تعرف عنه ومشروعيته وأن تحبه وتحب رفقته، وتلتصق به شغفاً، وأن تتعلم كيف تلبسه وتجرب ذلك بدءاً من مرحلة مبكرة، وهكذا.

والآن إلى بيت القصيد من هذا المبحث وهو أساليب غرس الشعب الإيمانية:

١- أسلوب القدوة:

القدوة هو أن يمثل المرابي ما يعتقد، والقدوة من أنجح الأساليب وأشدّها تأثيراً، لأن الطبيعة البشرية مفطورة على التقليد والمحاكاة، ولسهولة اكتساب الخبرات من خلالها لأن مستويات الفهم تكون متوافقة إلى حد ما إذا ما كانت القدوة متجسدة وماثلة أمامهم بخلاف ما يكون عبر السماع فقد تختلف مستويات الفهم، ولذا تأتي القدوة في مقدمة وسائل غرس شعب الإيمان، وما كان الرسل والأنبياء في أقوامهم إلا كذلك ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ﴾ [المتحنة: ٦]، وقال الله في شأن نبيه كذلك ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وعند سير منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه معه نجد أنه غرس فيهم كثيراً من الخصال بهديه وسلوكه دون تكلف وإسهاب بالكلام أو التنظير.

❖ نماذج:

- عن أبي سليمان مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً رقيقاً فظننا أننا قد اشتقنا أهلنا فسألنا عمن من أهلنا فأخبرنا فقال: "ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم وصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم" متفق عليه.

ويستفاد: حضورهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومشاهدتهم إياه في كل أحواله، والعكس، حتى أنه عرف أنهم قد اشتاقوا لأهلهم، من سنحات وجوههم، وهم قد ضبطوا وصفه صلى الله عليه وسلم "وكان رحيماً رقيقاً"، وضبطوا العلم حتى أن حديث الاستراحة لم يرويه إلا مالك بن الحويرث، فدل ذلك على أثر القدوة، وبلغت الذهن أن أكثر الأمة هما لها وشغلاً بما قد كان في وقته سعة وفسحة للجيل الصاعد.

- قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ما منعتني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل، فأخذنا كفار قريش فقالوا: إنكم تريدون محمداً، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة. فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر، فقال: "انصرفا نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم" رواه مسلم.

فتأمل لو أن رسول الله قدم حاجته فيهم على المبدأ الذي يريهم عليه لخارت قوى التأثير.

ويقولون: زنيته، سرقت، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت أمه: اللهم! لا تجعل ابني مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها، فقال: اللهم! اجعلني مثلها، فهناك تراجع الحديث. فقالت: حلقي! مر رجلٌ حسنُ الهيئة فقلت: اللهم! اجعل ابني مثله، فقلت: اللهم! لا تجعلني مثله، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون: زنيته، سرقت، فقلت: اللهم! لا تجعل ابني مثلها، فقلت: اللهم! اجعلني مثلها، قال: إن ذاك الرجل كان جباراً، فقلت: اللهم! لا تجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها: زنيته، ولم تزن، وسرقت، ولم تسرق، فقلت: اللهم! اجعلني مثلها" رواه مسلم.

ويستفاد: السياق القصصي الجميل في هذه القصة، وإبراز المعنى المراد فيها، وكيف ابتدأها صلى الله عليه وسلم بأسلوب مشوق حيث قال: "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة"، وكيف عرض أحداثها بإسهاب جميل دون استطراد يفوت المعنى.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَحَا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرَصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيَّنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَحَا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ؟ قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرْتُئِبُهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَيِّ أَحَبَّبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّبْتُهُ فِيهِ" رواه مسلم.

ويستفاد: الاختصار والإيجاز في عرضها، وكيف أبرز الجزاء.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بيننا رجل بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئرًا فنزل فيها، فشرِب ثم خرج، فإذا كلبٌ يلهث، يأكلُ الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملاً خفه ماءً، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له . قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجرًا؟ فقال: في كلِّ ذات كبدٍ رطبةٍ أجرٌ" رواه البخاري.

ويستفاد: ذكر غرض القصة في شكل بديع، وأيضاً كيف أورد من البيئة الأشياء بلا تخرج (كلب، الحف، البئر). بل وكانت محصلة لحصول المغفرة.

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت امرأة ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئاً غير تمر، فأعطيتها إياهما، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا فأخبرته، فقال: "من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له ستراً من النار" رواه البخاري.

ويستفاد: استماع النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الموقف وعدم تركه إياه دون لفتة تربوية.

- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت في حديثها عن الإفك: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال لزينب: "ماذا علمت، أو رأيت؟" فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيراً. قالت عائشة: وهي التي كانت تُساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع. قالت: وطُفِّقَتْ أَحْتَهَا تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكْتَ فِيمَنْ هَلَكَ. رواه البخاري.

وتأمل أن عائشة رضي الله عنها في روايتها حادثة الإفك كيف سكبت في قلوب المتلقين معان عظيمة، فلا تكاد تمر من حدث لها وإلا ترشد وتشير لشعبة من الإيمان، ومن ذلك موقف زينب رضي الله عنها آخر القصة، فكانت تستطيع أن تعرّض بموقف زينب رضي الله عنه وتروي القصة، ولكن فقهها بأثر ذلك فندبت للورع والتقوى، وقد ذكرت بأنها كانت هي التي تساميتها، وذكرت بأن أختها حمنة تحارب لها، ولكن الورع كان حاضراً في نفس زينب فعصمها، فأورثت في نفس المتلقي أن يقوم بالقسط والعدل ولو على نفسه.

٣- أسلوب الوعظ والإرشاد:

وهو مما يستخدم كثيراً في المواقف التربوية لما له من أثر بليغ، ولأن الموعظة الحسنة تصل للقلب وتؤثر فيه بقوة الحق والمصير، وأعظم الموعظة هي موعظة القرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، ويراعى فيها أن تكون مؤثرة بليغة بأسلوب حكيم مقبول، ومتنوعة بالتلميح تارة والتصريح تارة، ولا يعتمد فقط على الإنشاء بل يستخدم القصة والمثل ويراعى أيضاً الوقت المناسب، ثم لا يفوت أن يكون قدوة فيما يعظ فيه، مخلصاً لله فيما يقول ويفعل؛ لأن الوعظ رسالة إذا أُريد بها وجه الله أمكنها في القلوب، وليست النائحة المستأجرة كالنائحة الشكلي.

❖ نماذج:

- عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد صلاة الغداة موعظةً بليغةً ذرّفت منها العيون ووجلّت منها القلوب فقال رجلٌ إنّ هذه موعظةٌ مُودِعٍ فماذا تعهد إلينا يا رسول الله: "قال أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبدٌ حبشيّ فإنه من يعش منكم يَر اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالةٌ فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عَضوا عليها بالنواجذ" رواه الترمذي.

ويستفاد: استخدام النبي عليه الصلاة والسلام للوعظ وإجاده إياه، حتى أنه بلغ ذلك للصحابة فذرّفت العيون ووجلّت القلوب.

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان عبدُ الله يُدَكِّرنا كلَّ يومٍ خميسٍ، فقال له رجلٌ: يا أبا عبد الرحمن! إنا نحُبُّ حديثك ونشتهيهِ، ولوددنا أنك حدّثتنا كلَّ يومٍ، فقال: ما يمنعني أن أُحدِّثكم إلا كراهية أن أملككم، إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يتخوَّننا بالموعظة في الأيام. كراهية السامة علينا. رواه مسلم.

ويستفاد: أن الوعظ ليس مهمنا بنفسه، بل بأن يراعى الواعظ الناس في وقتهم ومكانهم.

٤- الترغيب والترهيب:

يناسب هذا الأسلوب كثيرا الطبيعة البشرية؛ لقدرة الإنسان على أن يتحكم بسلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بفضائل الأعمال وعواقب الأمور من نفع وضرر، قال الله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]، وهو أسلوب قرآني بليغ، فقد امتلأ القرآن بالوعد والوعيد ووضح جزاء أهل الإيمان الجنان والأمان ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وفي المقابل أهل الكفر والعصيان فالنيران والخسران، ويراعى في ذلك عدم القسوة واستخدام الترهيب فقط لا سيما في البدايات؛ لأن أسلوب الترغيب أفضل من الترهيب وهو كذلك أكثر في القرآن والسنة، ثم لا يكن المرابي أداة فقط بل يكن مؤثراً متأثراً يعيش ما يقوله ويقول ما يعيش به، ولا يقف عند موعظة يتيمة، بل يكررها بأساليب متنوعة وبطرق مناسبة ويستثمر المناسبات في ذلك، وقد يُطبق أيضا عملياً باستخدام الثواب والعقاب في السلوكيات.

❖ نماذج:

- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلتُ: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: "لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل، قال: ثم تلا: { تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم - حتى بلغ - يعملون } ثم قال: ألا أخبركم برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه": قلتُ: بلى يا رسول الله قال: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد". ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله"، قلتُ: بلى يا رسول الله، قال: "فأخذ بلسانه، قال: كف عليك هذا". فقلتُ: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: "ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم" رواه الترمذي.

ويستفاد: حرص الصحابة على أمر دينهم، وأيضا رسول الله لم يفوت تلك اللحظات الجميلة في سؤال معاذ بعد أن أثنى عليه بهذا الحرص، فبادره بسؤالات تتضمن التعريف بهذا الدين وشريعته، وحذره من المهلك من العمل.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث، وهأني عن ثلاث: هأني عن نقرة كنفرة الديك، وإقعاء كإقعاء الكلب، والتفات كالتفات الثعلب. صحيح الترغيب والترهيب.

تأمل كيف هذه الوصية الوجيزة التي تضمنت نهيًا وتشبيهاً ينفر بالطبيعة البشرية عن المشبه به.

- عن أبي جري الهجيمي رضي الله عنه قال: أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلتُ: يا رسول الله إننا قومٌ من أهل البادية فعلمنا شيئاً ينفعنا الله به فقال: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء

المستسقي ولو أن تُكَلِّمَ أخاك ووجهك إليه مُنْبَسِطٌ وإيَّاك وإِسْبَالَ الإِزَارِ فَإِنَّهُ مِنَ المِخِيلَةِ ولا يُجِبُّهَا اللهُ وَإِنْ امرؤُ شَتَمَكَ بما يَعْلَمُ فيكَ فلا تَشْتُمهُ بما تَعْلَمُ فيه فَإِنَّ أجرَهُ لك ووبالَهُ على مَنْ قاله " رواه ابن حبان. ويستفاد: ذكر فضيلة الأمر وعقوبة النهي في الوصية.

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان الرجلُ في حياة النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذا رأى رؤيا قصها على النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وكنتُ غلاما شابا عزبا، وكنتُ أنام في المسجد على عهد النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فرأيت في المنام: كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، فلقيهما ملك آخر، فقال لي: لن ترأى، فقصصتها على حفصة، فقصصتها حفصة على النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقال: "نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلي بالليل"، قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلا. رواه البخاري.

ويستفاد: الجمال والإبداع في إيداع الوصية في قلب الموصى، فأثنى عليه وعرض به ولم يأمره.

- عن يزيد بن نعيم الأسلمي رضي الله عنه قال: أنَّ ماعزًا أتى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فأقرَّ عنده أربع مرَّاتٍ فأمر برجمه وقال لهزَّالٍ لو سترته بثوبك كان خيرا لك " صحيح الترغيب والترهيب. ويستفاد: ذكر فضيلة الأمر واختصاصها بالمخاطب دون التلميح أحيانا، فهي أعمق وأدق، قال: "كان خيرا لك".

- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أنا رديفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقال: "يا مُعَاذُ"، قلتُ: لبيك وسَعَدَيْك، ثم قال مثله ثلاثًا: "هل تدري ما حقُّ الله على العبادِ؟"، قلتُ: لا، قال: "حقُّ الله على العبادِ أن يَعْبُدوه ولا يُشركوا به شيئًا"، ثم سار ساعةً، فقال: "يا مُعَاذُ"، قلتُ: لبيك وسَعَدَيْك، قال: "هل تدري ما حقُّ العبادِ على الله إذا فعلوا ذلك: أن لا يُعَدَّيهم" رواه البخاري.

ويستفاد: حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على صحابته حتى وإن كان أحدهم رديفه على دابته، فيصح عنده أصولاً في الشريعة، فلم يستقل أحداً ولم يقتصر على زمان ومكان.

- ومن ذلك الزجر: عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "لقيتُ أبا ذرٍّ بالريذة وعليه حُلَّةٌ وعلي غُلامه حُلَّةٌ فسألته عن ذلك"، فقال: إني ساببتُ رجلاً فعيَّرته بأمه فقال لي النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "يا أبا ذرٍّ، أعيَّرته بأمه، إنك امرؤٌ فيك جاهليَّةٌ، إخوانكم حَوَلُكم، جعلهم اللهُ تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكلُ، وليلبسه مما يلبسُ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم" رواه البخاري.

وتأمل كيف زجر الرسول صلى الله عليه وسلم أبا ذر عن هذه الفعلة، وقابله بمثلها "إنك امرؤ فيك جاهلية"، وكأنها تعني أن الجاهلية لازالت تسري في عروق من افتخر وطعن في الأنساب.

- عن عقبة بن عمرو رضي الله عنه قال: كنتُ أضرب غلامًا لي، فسمعتُ من خلفي صوتًا "اعلم، أبا مسعود! الله أقدُرُ عليك منك عليه"، فالتفتُ فإذا هو رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقلتُ: يا رسولَ الله! هو حُرٌّ لوجه الله، فقال: "أما لو لم تفعل، للفحتك النار، أو لمستك النار" رواه مسلم.

ويستفاد: الحزم في الترهيب فيمن ظلم وبغى واعتدى.

٥- ضرب الأمثال:

المثل إما أن يكون نموذجاً ماثلاً، أو تشبيهاً بأمر محسوس أو حتى بأمر معنوي أقرب لذهن الإنسان، وقد استخدم القرآن هذا الأسلوب وضرب العديد من الأمثال. قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ [الروم: ٥٨]، وقال: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَّاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، وذكرها للوعظ والتفكير والاعتبار عبر تقريب الأمور التي قد تغيب عن ذهن المتلقي إلى ما قد يكون حاضراً في ذهنه من حياته اليومية، وهو أسلوب ناجع إذا أتقنه المرابي واستطاع إجادة فهم المتقابلات وصياغة ذلك في عبارات موجزة، لما في المثل من بلاغة في الوعظ وقوة في الزجر وقدرة في الإقناع وتقريب للفكرة وتلخيص للخبرة.

❖ نماذج:

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء، لا يسقط ورقها ولا يتحات"، فقال القوم: هي شجرة كذا، هي شجرة كذا، فأردت أن أقول: هي النخلة، وأنا غلام شاب فاستحييت، فقال: "هي النخلة"، وعن شعبة: حدثنا خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن ابن عمر . . مثله، فحدثت به عمر فقال: لو كنت قلتها لكان أحب إلي من كذا وكذا. رواه البخاري.

ويستفاد: التشويق في عرض رسول الله المثل، إذ لم يذكره حتى استحث أفهامهم له، وأيضاً دقة المثل ومطابقتها للمثل به.

- في مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ أَكَلَتْ طَيِّبًا وَوَضَعَتْ طَيِّبًا وَوَقَعَتْ فَلَمْ تَكْسِرْ وَلَمْ تُفْسِدْ". صححه أحمد شاكر.

وتأمل كيف كان هذا المثل في تعزيز الطيب في المؤمن، في الأخذ والعطاء، وسلامة الخلق منه.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه، فتخلص إلى جلده، خيرٌ له من أن يجلس على قبرٍ" رواه مسلم.

وتأمل كيف لو كان إرشاداً جافاً فقال: لا تجلس على القبر، ولكن أتى بالنهي على هيئة الإخبار، وأشرك فيه الإحساس الذي هو جزء من النفس، فكأن المتلقي يشعر بحرارة الجمرة عند وضع طرف قدمه على القبر فينزعها مباشرة.

- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثلي الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر". وفي رواية: (بدل المنافق) الفاجر " رواه مسلم.

وتأمل: هذه الأمثال البليغة لقارئ القرآن وهاجره سواء المؤمن والمنافق، وكيف تتعلق أحاسيس المتلقي من ذوق وشم بذكر هذا المثل، فينتابه قشعريرة تدفعه للامتثال، وتمنعه من التوقف لأنه يسترجع من أحاسيسه الأترجة والتمر والريحانة والحنظلة، وتأمل واقعيته وحضورها من وسط ما يتعارفون إليه، إذ المثل الهدف منه التقريب لا الإعجاز.

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "..ومثل الجلوس الصالح كمثلي صاحب المسك إن لم يُصَبِّك منه شيء - أصابك من (ريحه) ومثل الجلوس السوء كمثلي صاحب الكبر، إن لم يُصَبِّك من سواده؛ أصابك من دُخانِه" صحيح الترغيب.

وهذا تشبيه آخر في سبيل الوصية بالجلوس الصالح والتحذير من جلوس السوء، وكيف أن رسول الله قارب بين المعنى الحسي والمعنوي، حتى أن المتلقي يشعر بزكي الصالح وطيبه، وينفر من السيء وخبثه. فاختر لهما أبين الوصف وأحضره في النفس والعقل والحس.

- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنما مثلي ومثلي ما بعثني الله به، كمثلي رجل أتى قومًا فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكائهم، فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فأتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق". رواه البخاري.

ويستفاد: كيف حث رسول الله على الاستجابة لأمر الله ورسوله بمفهوم (النذير العريان)، وأصله عند العرب أن الرجل إذا رأى غارة قد فجئتهم وأراد إنذار قومه يأتيهم محذراً صارخاً يتجرد من لباسه تحذيراً، وورد أنها قصة لأحدهم، فانظر كيف استطاع رسول الله تقريب ذلك المعنى في النفوس بهذا المفهوم العتيق، ثم أيضاً لم يكتف بذكر المثل دون إرشاد وتوجيه، بل كان ذلك أثنائه: "فأطاعه طائفة من قومه فأدجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا"، وكذلك خاتمته: "فذلك مثل من أطاعني فأتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق".

- عن عبيد الله بن عباس أو الفضل ابن عباس قال: أن رجلاً سأل النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، إنَّ أبي أدركه الإسلام وهو شيخٌ كبيرٌ لا يثبتُ على راحلته، أفأحجُّ عنه؟ قال: "أرأيت لو كانَ عليه دينٌ، ففَضِيتهُ عنه، أكانَ يَجْزِيه؟" قال: نعم، قال: "فأحجُّجُ عن أبيك". رواه أحمد وصححه أحمد شاكر. وتأمل كيف لو قال له رسول الله: نعم. واكتفى بذلك، هل سيعود ذلك الرجل بمثل القناعة التي تلقاها وتلقيناها من بعده حين ضرب رسول الله المثل، فعاد ذلك الرجل لا يعوقه عن أن يحج عن أبيه شيئاً بعد أن قر في قلبه ذلك المعنى، وصار أوضح من عين الشمس.

٦- التربية بالأحداث:

هذا الأسلوب من أجود الأساليب تعليمياً وتأثيراً وإثباتاً للحقائق، ويؤثر تأثيراً بالغاً في نفس المتربي فهو يكتسب مفهوماً وقع تحت حاستي السمع والبصر فأوصله مرحلة اليقين وهو أعلى مراتب التعلم، وتتميز بتنوع المفاهيم في باب العقيدة والآداب والأخلاق وفي الجانب العبادي أيضاً، وتفتح باب الحوار. وإجادة هذه الوسيلة مؤثر على معرفة المرابي وإدراكه لواقع ما تعلمه من معارف وعلوم. ومن خلال النظر في كيفية نزول القرآن تجده أتى منجماً على الوقائع والأحداث، وقد كان في قدرة الله أن يكون نزوله على رسول الله جملة واحدة؛ ولكن لعلم الله في بلاغة هذا الأسلوب وموافقته للطبيعة الإنسانية في أنها تدرك ما عايشته أكثر، وتأخذ منه الدروس والتوجيهات بأجود ما يكون، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢]، وأيضاً فإن رسول الله يعنم فرصة الأحداث التي تقتضي توجيهها أو درساً أو غير ذلك. ويراعى فيها أن يشارك المتربي برأيه وأن تربط النتائج بالمقدمات، والحكم بالقرائن والرجوع إلى المصادر الأصيلة، وكذلك ربطها بالواقع وبمقاصد الشريعة له أثر إيجابي في نفس المتربي أو جماعة المتربين. فمثلاً عند نزول الغيث يعزز جانب العقيدة. وعندما يعطس أحدهم يبرز جانب الآداب. وعند الأذان يدعو لجانب العبادة. وعند الغيبة يعظم جانب الأخلاق. ويوم عاشوراء قد يجتمع فيه الجانب المعرفي والعقدي والعبادي، وهكذا.

❖ نماذج:

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ بالسوق، داخلاً من بعضِ العالية، والناسُ كنفته، فمرَّ بجديٍ أسكٍ ميتٍ فتناولَه فأخذ بأذنه، ثم قال: "أيكم يحبُّ أن هذا له بدرهم؟"، فقالوا: ما نحبُّ أنَّهُ لنا بشيءٍ وما نصنعُ به؟ قال: "أحبون أنَّهُ لكم؟"، قالوا: والله! لو كان حياً، كان عيباً فيه لأنَّهُ أسكٌ، فكيف وهو ميتٌ؟، فقال: "فوالله! للندنيا أهونُ على الله، من هذا عليكم". وفي روايةٍ: بمثله. غير أن في حديثِ الثقفِيّ: فلو كان حياً كان هذا السكُّكُ به عيباً. رواه مسلم.

فتأمل كم مر أحدنا على مثل ذلك وكم فاته الكثير من صنع ذلك الحدث، وكيف أن رسول الله أبلغ في وصف الدنيا وهوانها عند الله، بموقف عارض عفوي، فكيف يضيع على المرء أحداث جسام وتمر مرور الكرام، ونحن نعلم أن التربية لا تكون في المنبر والكتاب، بل بالمعيشة والقدوة والتوجيه المباشر وهكذا.

- عن صفية بن يحيى رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد، وعنده أزواجه، فزخرن، فقال لصفية بنت حبيبي: "لا تعجلي حتى أنصرف معك"، وكان بيئتها في دار أسامة، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم معها، فلقيه رجلان من الأنصار، فنظرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم أجازا، وقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: "تعاليا، إنها صفية بنت حبيبي"، قالوا: سبحان الله يا رسول الله، قال: "إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيته أن يلقي في أنفسكما شيئا". رواه البخاري.

وتأمل رسول الله لم يترك هذان الصحابييان يذهبا دون أن يخبرها بحقيقة الشيطان وكيف يؤز وينزع، ولكن لم يكن ذلك إلا بعد حدث عايشوه فكان أكثر تأثيراً.

- عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى القمر ليلة - يعني البدر - فقال: "إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا"، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾. رواه البخاري.

ويستفاد: كيف استطاع رسول الله أن يأخذ من مشهد البدر إخباراً وإرشاداً عظيمين، فأخبرهم بحقيقة رؤية الله وأنهم سيرون الله كمثل ما يرون القمر، فتنتعش نفوس المؤمن لذلك اليوم، وتتسامى مهجهم للقاء ربه وهو راض عنهم غير غضبان، ثم يعقبه مباشرة بإرشاد للحفاظ على الفرائض سيما الفجر والعصر، فتأمل الذكاء النبوي والعمق في استثمار الأحداث.

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: "أترون هذه طارحة ولدها في النار". قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها". رواه البخاري.

هذا الحدث العارض والمشهد العفوي كان سبباً في التنبيه لصفة الرحمة لله تبارك وتعالى. وكيف هي المشاهد في يومنا وليلتنا وهي تمتلئ بآيات الرحمة واللفظ الرباني، هل كانت سبيلاً في دعوة العباد لربهم، وتعريفهم برحمة خالقهم؟ فيحسنوا الظن برهم.

٧- الحوار والمناقشة:

وهي من أكثر الأساليب التي تلائم ما نحن بصدده، فالحوار يفتح الآفاق للمتربي بأن يعبر عما في نفسه ويطرح ما لديه ويناقش ما يعترض عنده، ويجعل المرابي أكثر قرباً منه وتفهماً لشعوره وأفكاره وسلوكياته، ومن ثم يكون أكثر تحديداً لمنهج الخطاب معه واختيار الأسلوب المناسب معه في التوجيه والتعليم، فتنشأ الثقة التي هي أساس التوجيه القيمي، وتعزز الصلة بين المتحاورين، والقرآن الكريم مليء بمثل هذا الأسلوب النافع وكذا كان المجتمع الرسالي يعيشون هذا الرقي وهذا السمو، قال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۗ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۗ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۗ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ونزلت بعد الغزوة التي نيل من المسلمين فيها، وكان الخروج نتيجة مشورة الصحابة، ولكنها نزلت الآية لاستقرار وإقرار بقاء هذا المبدأ وهو الأهم من أي فوز لحظي؛ لأنه يعني بفوز المبدأ وصناعة الإنسان. ويراعى فيه ألا يكن مصادماً للمسلمات قائداً للشبهات، مجرئاً على الأحكام القطعية، ولا يمنع أن يطرح المتربي ما لديه، لكن ألا تكن هذه الموضوعات نصب عين الحوار دائماً.

❖ نماذج:

- عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: إِنَّ فِتْيَ شَابًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالرِّثَا فَأَقْبِلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَجَرَّوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ فَقَالَ: "ادْنُهُ" فدنا منه قريباً قال: فجلس قال: "أَحْبَبُهُ لِأُمَّكَ؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، قال: أَفْتَحِبُّهُ لِابْنَتِكَ"، قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ، قال: أَفْتَحِبُّهُ لِأَخْتِكَ"، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قال: أَفْتَحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ"، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ، قال: أَفْتَحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ"، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ"، قال: فوضع يده عليه وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء" السلسلة الصحيحة.

وتأمل بما أتى به الفتى من أمر عظيم منكر، ومع ذلك كان العلاج عبر الحوار لا غير، وكيف استخدم رسول الله هذا الحوار بأيسر طريقة وأعمق معنى دون جدال عقيم وصراخ سقيم، بل طرح تساؤلات لم يكن بد من الإجابة عنها إلا بـ(لا)، فكانت السبيل لوقف هيجان الشهوة والتفكير الخاطيء.

- قال ابن إسحاق: فحدثت عن رجال من بني سلمة، أنهم ذكروا: أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال: يا رسول الله، أرايت هذا المنزل، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: "بل هو الرأي والحرب والمكيدة"، فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نعوّر ما وراءه من القلب، ثم نبي عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم،

فنشرب ولا يشربون؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أشرت بالرأي. فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فغورت، وبنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه، فملىء ماء، ثم قذفوا فيه الأنية.

ويستفاد: كيف أن الصحابي بادر رسول الله بهذا الرأي بعد أن سأله أهذا المنزل أنزلك الله إياه، وكأنه يستحضر موقفاً ليس بالبعيد من ذكراهم في موقف القصواء لما قال رسول الله "دعوها فإنها مأمورة"، أم هذا المنزل يخضع للرأي والمشورة، فكان المنزل للرأي والمشورة، والحقيقة أنهم ما إن عاشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى علموا حقيقة أساس الحوار وتقلب الآراء والمشورة في حياته، وأيضاً يعلمون ثمة أمور لا نزاع فيها، وإلا لما اجترأ على هذه المبادرة بعد أن علم أن ذلك لم يكن من الأمور غير المنازع فيها.

٨- مراعاة الفروق الفردية:

هذا الأسلوب يراعي سنة الله جل وعلا في خلقه، وهي الاختلاف في الأذواق، الاختلاف في الفهوم، الاختلاف في القدرات، وأيضاً الاختلاف في الإدراك وغير ذلك، وإذا ما كان المرابي قادراً على تمييز المتربين بحسب المعطيات السابقة استطاع أن يصل إلى سويداء قلوبهم وأن يميز احتياجاتهم حتى في ما يسألون ويطلبون، ولا يكونوا سواسية في نظرتهم وحسابه لهم، وهذا يفيد كثيراً في الجانب التوجيهي الفردي مما يجعله أكثر عمقاً في الفهم واستيعاباً وإدراكاً.

❖ نماذج:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: يا رسول الله، أي الصدقة أفضل؟ قال: "جهد المقل، وابدأ بمن تعول" رواه ابو داود وصححه الألباني.
- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتدرون أي الصدقة أفضل؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "المنيحة أن يمنح [أحدكم] أخاه الدرهم أو ظهر الدابة أو لبن الشاة أو لبن البقر". مجمع الزوائد.
- عن سعد بن عباد رضي الله عنه قال: يا رسول الله! أي الصدقة أفضل؟ قال: "سقي الماء" رواه النسائي وصححه الألباني.
- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل: يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال: "كل مخموم القلب صدوق اللسان". قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: "هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل، ولا حسد" صحيح الترغيب والترهيب.
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "أوصني، قال: " لا تغضب ". فردد مراراً، قال: " لا تغضب ". رواه البخاري.

- عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك - وفي حديث أبي أسامة غيرك - قال: "قل آمنت بالله فاستقم" رواه مسلم.
 - عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: جاء أعرابيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما: يا رسول الله أخبرني بأمرٍ أتشبهتُ به، قال: "لا يزال لسانك رطباً من ذكرِ الله" رواه ابن ماجه وصححه الألباني.
 - عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ الإسلام خير؟، قال: "تُطعمُ الطعامَ، وتقرأُ السلامَ، على مَنْ عَرَفْتَ، وعلى مَنْ لم تَعْرِفْ" رواه البخاري.
 - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، قُلْتُ: يا رسولَ الله، أيُّ العملِ أفضلُ؟، قال: "الصلاةُ على ميقاتها"، قلتُ: ثم أيُّ؟، قال: "ثم بُرُّ الوالدينِ"، قلتُ: ثم أيُّ؟، قال: "الجهادُ في سبيلِ الله"، فسكتُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ولو استزدتُهُ لزداني. رواه البخاري.
 - عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلتُ يا رسولَ الله ما النَّجاةُ؟ قال: "أمسِكْ عليكِ لسانك، وليسعك بيتك، وابكِ على خطيئتك" رواه الترمذي.
 - عن أبي ذرٍّ رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "اتَّقِ اللهَ حيثُما كنتَ وأتبعِ السَّبِيَّةَ الحَسَنَةَ تمحُّها وخالِقِ النَّاسَ بخلقِ حسنٍ" صحيح الجامع.
 - عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد، فقال: "أحِبِّي وإِلكِ"، قال: نعم، قال: "فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ". رواه البخاري.
 - وسأله صلى الله عليه وسلم آخر فشكا له قسوة قلبه، فقال: "إذا أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم" رواه أحمد.
 - عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كنَّا عندَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم فجاء شابٌ فقال يا رسولَ الله أَقبِلْ وأنا صائمٌ فقال: "لا"، فجاء شيخٌ، فقال يا رسولَ الله: أَقبِلْ وأنا صائمٌ قال: "نعم"، فنظرَ بعضُنا إلى بعضٍ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "قد عَلِمْتُ نَظَرَ بعضِكُم إلى بعضٍ إِنَّ الشَّيخَ يملكُ نفسه". رواه أحمد وصححه أحمد شاكر.
- والحاصل في اختلاف جوابات النبي صلى الله عليه وسلم هو أنه أخبر كل مخاطب بما هو أليق به، وهو به أقوم وإليه أرغب، ونفعه فيه أكثر، فالشجاع أفضل الأعمال في حقه الجهاد؛ فإنه أفضل من تخليّة للعبادة، والغني أفضل الأعمال في حقه الصدقة، ومن والديه أحياء وهم في حاجته ليس كغيره، وكذلك في التفريق بين الشاب والشيخ وغير ذلك، وهكذا فلم يكونوا كلهم يحملون على نشاط الأقوى أو همة الأفضل، أو العكس، وكذلك ما يليق بفلان لا يعمم على البقية، ولذا تباينت الردود لتباين الأشخاص، ولا يؤتى ذلك إلا حصيف بإخوانه عالم بهم وبأحوالهم.

٩- أسلوب إثارة الانتباه:

هذا الأسلوب مفيد جداً إذ فيه توجيه الطاقة العقلية نحو مثير أو أكثر من المثيرات، فيكون الموضوع بؤرة الشعور والوعي بينما تظل المثيرات على هامش الشعور، وأيضا فيه حصر الفكر والحواس، وإثارة عنصر التحدي، وكسب المعلومة بشكل واضح وبارز.

❖ نماذج:

- عن يريدة بن الحبيب الأسلمي قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "في الإنسان ستون و ثلاثمائة مفصل، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل صدقة"، قالوا: فمن يطيق ذلك يا رسول الله؟، قال: "النخاعة في المسجد تدفئها، و الشئىء تَنْحِيهِ عَنِ الطَّرِيقِ، فَإِنْ لَمْ تُقْدِرْ، فَارْكَعْنَا الصُّحَى بُحْزِي عَنْكَ". صحيح الترغيب.

ويستفاد: كيف أثار النبي صلى الله عليه وسلم انتباه الصحابة حين ابتداء حديثه بذكر عدد المفاصل، وكان في هذا لفت للانتباه ومن ثم ارشدهم إلى أهمية الصدقة على كل مفصل.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أتدرون ما المفلس؟" قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: "إن المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيته حسناته، قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرح عليه، ثم طرح في النار" رواه مسلم.

ويستفاد: أن السؤال عادة ما يثير الانتباه ويجفز الذهن ويجذب الحضور، وقد كان سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن أمر معروف بدهياً، لكنه يريد جواباً آخر، غير أنه لم يأت بالجواب حتى استمع لهم، وهذا من حسن التعليم.

- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يشتكى قسوة قلبه فقال له: "أحب أن يلين قلبك وتذكر حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتذكر حاجتك" . أخرج الطبراني وصححه الألباني.

وتأمل حين جاء هذا الرجل يشتكى قسوة قلبه، فلم يجبه صلى الله عليه وسلم حتى أثار الدافعية لديه لمعرفة الدواء المناسب له، فقال: "أحب أن يلين قلبك وتذكر حاجتك؟".

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي في قببة، فقال: "أترضون أن تكونوا رُبُع أهل الجنة"، قلنا: نعم، قال: "أترضون أن تكونوا ثُلث أهل الجنة"، قلنا: نعم، قال: "أترضون أن تكونوا شَطْر أهل الجنة"، قلنا: نعم، قال: "والذي نفس محمد بيده، إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعره البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعره السوداء في جلد الثور الأحمر" رواه البخاري.

ويظهر في هذا الحديث كيف استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يجذب انتباه من معه بتلك الاستفهامات المشجعة لما وراءها.

- عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذرٍّ حين غرَبَتِ الشمسُ: "تدري أين تذهب؟"، قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويؤشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: "والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم" رواه البخاري.

وتأمل كيف استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يغرس هذا المعنى من الآية الكريمة بأسلوب جاذب أخاذ، حين سأل عن الشمس "تدري أين تذهب؟"، ويستطيع أن يأتي بها بلا سؤال، لكن حفز المتلقي وإثارة الدافعية لديه تريبو أهمية.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أتدرون ما الغيبة؟"، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "ذكرك أخاك بما يكره"، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟، قال: "إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه فقد بهته" رواه مسلم.

ويوضح هذا المثال كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم عن الغيبة بعد أن سألهم ثم أجابهم.

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فاسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا" قال: صدقت، قال فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك"، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"، قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"، قال ثم انطلق، فلبث مليا، ثم قال لي: "يا عمر! أتدري من السائل؟"، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم". رواه مسلم.

ويستفاد من هذا الحديث العظيم: وقد قال رسول الله عنه "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"، أن هذا التعليم كانت وسيلته هو السؤال والاستفهام والحوار المليء بلفت الانتباه ورفع مستوى الحافزية في التعلم، وهو في أصول الإسلام، فكيف بما دونها؟

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَدَّ، وَقَالَ: "ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ"، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ" ثلاثاً، فقال: والذي بعثك بالحق، ما أحسن غيرهُ، فعلمني؟ فقال: "إذا قمتَ إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راکعاً، ثم ارفع حتى تعندل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، وافعل ذلك في صلاتك كلها" رواه البخاري.

ويستفاد: أن قائلاً قد يقول: ولما لم يوجهه رسول الله مباشرة، والجواب: لو وجهه مباشرة لما يمكن أن يحرص على تصحيح صلاته، الحرص الذي حرصه بعد أن أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بالإعادة "ارجع فصل"، وأثار عنده استفهاماً عظيماً بعد كل مرة وهو يقول: "فإنك لم تصل" فصار يقلب ذهنه يمنة ويسرة كيف أنه لم يصل مع أنه صلى، حتى أنه أتى بعد ذلك حين وصل به الحال والرغبة الشديدة في الصلاة بشكل صحيح، أتى وهو صادق الطلب راغب العلم قائلاً: "والذي بعثك بالحق، ما أحسن غيرهُ، فعلمني".
ومن ذلك التأكيد بالقسم:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا" رواه مسلم.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يَجِبَ لِحَارِهِ (أَوْ قَالَ لِأَخِيهِ) مَا يَجِبُ لِنَفْسِهِ" رواه مسلم.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "واللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لَا يُؤْمِنُ"، قال: ومن يا رسول الله؟ قال: "الَّذِي لَا يَأْمُنُ جَارُهُ بِوَأْتَقَهُ" رواه البخاري.

ويستفاد: أن أسلوب القسم بليغ عظيم يصل للقلب؛ إذ لا يقسم الإنسان عادة إلا ليصدق، ورسول الله استخدم ذلك حافزاً انتباه من معه لما سوف يقسم عليه لحقيقته وأهميته.

١٠ - أسلوب الأعمال الجماعية التشاركية:

ثمة معاني عظيمة أورتتها هذه الشريعة قد لا تصل إلى إدراك الإنسان إلا مع الجماعة، وقد راعت الشريعة ضوابط العمل مع الجماعة وأسس ذلك بما فيها من الآداب والأخلاق، ويكفيك أنك تجد الرسول عليه الصلاة والسلام حاضراً في جل المشاهد مع صحابته، ولم تفته جل الغزوات والأعمال التشاركية، وإذا أراد المربي على سبيل المثال غرس الجد أو الاجتهاد واحترام الوقت فقد لا يكون ذلك متاحاً أو على الأقل بشكل أجود وأعمق إلا بدخوله معهم في صميم العمل التنفيذي، ومن ثم يكون ضمن فريق عملهم الذي تكون عليه وعليهم الضوابط والتعليمات بشكلٍ متساوٍ.

❖ نماذج:

- في البُخَارِيِّ، مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاحِلَتَهُ، فَبَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِهِ، وَكَانَ مَرْبِدًا لِسَهْلٍ وَسَهْلِيلٍ غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حِجْرٍ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَرَكَتْ رَاحِلَتُهُ: " هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ"، ثُمَّ دَعَا الْعُلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمَرْبِدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالَا: بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا، وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّيْلَ فِي بِنَائِهِ، وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ: "هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْرٌ هَذَا أَبْتُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ"، وَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْأَخِرَةِ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ".

ويستفاد: كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاركهم النقل والبناء، بل وكان يدعو لهم ويحفزهم، فلو حاضر الإنسان ألف محاضرة عن أهمية التعاون لا تزن مشاركة واحدة في مجموعة عمل.

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما حفر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الخندق أصابهم جهد شديد حتى ربط النبي صلى الله عليه وسلم على بطنه حجراً من الجوع. رواه أحمد.

تأمل كيف شارك رسول الله صلى الله عليه وسلم حفر الخندق وقد رأوه رابطاً على بطنه الحجر، وهذا يغني عن دروس في الصبر والتواضع.

- عن أنس رضي الله عنه قال: جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فوجدته جالساً مع أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصاة، قال أسامة (أحد رواة الحديث): وأنا أشك على حجر، فقلت: لبعض أصحابه: لم عصب رسول الله صلى الله عليه وسلم بطنه؟ فقالوا: من الجوع... الحديث. رواه مسلم.

تأمل جلوس الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رابطاً بالحجر، فهو يعيش معهم مشاركاً لهم أمرهم دون مثالية قاتلة، أو نزول سافل.

- وعن أنس رضي الله عنه قال: أتى أبو طلحة أم سليم، وهي أم أنس، وأبو طلحة رأته، فقال: عندك يا أم سليم شيء فإني مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرئ أصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجراً من الجوع... إلى آخر الحديث بطوله. رواه الطبراني في معجمه الكبير والأوسط.

ويستفاد: جلوس الرسول صلى الله عليه وسلم لتعليم الفقراء من أصحابه رغم الجوع والأواء، وأنه كان يدعوهم للصبر على العلم والتعليم، ولو لم يشاهدوه في هذا الموقف لربما تأخروا وعزفوا، وهذا يدل على أهمية الأعمال الجماعية في تأسيس وغرس المعاني والقيم.

١١- أسلوب جوامع الكلم، ومنها العدد والتفصيل:

مما ترتاح له النفس وتدركه سريعاً هو الكلام الموجز البليغ والذي يكون منظم الأفكار، سهل العبارة، عميق الكلمة، رقيق الحرف، وإذا اتسع معجم المرابي بهذا النوع فسيضمن بإذن الله مفاهيم مرتكزة وواضحة عند مجموعة

المتريين؛ لما لهذا الأسلوب من فائدة في الحفظ وصل العقل بالارتقاء بالعربية وجودة الاستيعاب والتركيز على الفكرة، واختصار الوقت أيضاً، وقد كان رسول الله سيداً في هذا الباب وفي كل أبواب الخير، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون". رواه مسلم.

❖ نماذج:

- عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنتُ غلاماً في حَجْرِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وكانتُ يدي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فقال لي رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "يا غلامُ، سَمِّ اللهُ، وكُلْ يمينك، وكلِّ ممَّا يليك" فما زالت تلك طِعْمَتِي بعدُ. رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري. ويستفاد: كيف اختصر النبي صلى الله عليه وسلم وصيته في كلمات موجزة مرتبة على نسق مناسب لأدب الطعام.

- عن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" قلنا: لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم". رواه مسلم. ويستفاد: كيف اختصر النبي صلى الله عليه وسلم مفهوم الدين في النصيحة، وربما كان الدين أوسع من ذلك، لكن لتقرير المهم وإبراز المقصود.

- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنتُ خلفَ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يوماً قال: "يا غلامُ، إني أعلمُك كلماتٍ: احفظِ الله يحفظُك، احفظِ الله تجده يُجاهك، إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، زُفَعَتِ الأَقلامُ وُجِّتِ الصُّحُفُ". رواه الترمذي.

تأمل هذه الكلمات على ظهر الدابة يسوقها النبي صلى الله عليه وسلم بجزالة ووضوح، فتكون وصية شاملة كاملة.

- عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: أذكرُ أني أخذتُ تمرَةً من تمرِ الصدقةِ فألقيتها في فمي، فانتزعها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بلعابها فألقاها في التمر، فقال له رجلٌ: ما عليك لو أكل هذه التمرة قال: "إنَّنا لا نأكلُ الصدقةَ" قال: وكان يقول: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإنَّ الصدقَ طمأنينةٌ وإنَّ الكذبَ ريبٌ" قال: وكان يُعلِّمنا هذا الدعاء: "اللهم اهديني فيمن هديتَ وعافني فيمن عافيتَ وتولَّني فيمن تولَّيتَ وبارك لي فيما أعطيتَ وقني شرَّ ما قضيتَ إنَّه لا يُدُلُّ من واليتَ" وربما قال: "تباركت ربُّنا وتعاليت". رواه أحمد وصححه أحمد شاكر.

تأمل كيف حفظ هذا الفتى في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم رغم حداثة سنه، ولكن الإيجاز وسبك العبارة يجعلها محفورة في جدار الذاكرة مهما تغير الزمان "دع ما يربيك إلى مالا يربيك"، فما أبلغ هذه العبارة وأوجزها.

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه" رواه البخاري.

"إنما الأعمال بالنيات" اختصرت صفحات طويلة وأجزاء كثيرة تحول حول المعنى ولا تجيب عنه.

- عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَأَزْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ". رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير، وصححه الألباني في السلسلة.

وتأمل كيف دل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصحابي على عمل لم يكن بالبال حين سأل عنه، وأيضاً كان الجواب حاضراً ذكياً موجزاً "ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس".

- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردٌ" رواه البخاري ومسلم.

اختصر رسول الله صلى الله عليه وسلم المجلدات في تعريف البدعة عبر هذا الحديث البليغ.

- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أصاب رجلاً جرحٌ في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم احتلم فأمر بالاعتسال فاغتسل فمات فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "قتلوه قتلهم الله! ألم يكن شفاء العي السؤال". رواه أبو داود وصححه الألباني.

تأمل قوله: "لم يكن شفاء العي السؤال"، لتجد اختصار القضية ومشكلتها.

- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "اغتنم خمسا قبل خمس: شبابتك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك". صحيح الترغيب.

لو مكث إنسان مهما كبر علمه ليحصى منافذ اغتنام الفرص والأوقات، لما وسعه أن يأتي بها كما أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، ولذا يحسن إجادة الحصر والعد لكونها تحفظ وتضبط حتى في التعليم والتربية.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تُنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجهالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك" رواه البخاري ومسلم.

ويستفاد: قدرة النبي صلى الله عليه وسلم على معرفة الأسباب وحصرها ومن ثم بيانها، وهذا أحد أدوار المربي في هذه الوسيلة.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله عن الخيل قال: "الخيْلُ معقودٌ في نواصيها، الخيرُ إلى يوم القيامةِ . الخيلُ ثلاثةٌ: فهي لرجلٍ أجْرٌ، ولرجلٍ سِتْرٌ، ولرجلٍ وِزْرٌ... الحديث" رواه مسلم.

تأمل: "الخيْلُ ثلاثةٌ: فهي لرجلٍ أجْرٌ، ولرجلٍ سِتْرٌ، ولرجلٍ وِزْرٌ"، وكيف سهلت على المتلقي في فهمها وضبطها لما أوجزت وحصرت.

- وعند أبي داود أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: الرجل يقاتل للذكر، ويقاقل ليحمد، ويقاقل ليُرى مكانه، فمن هو في سبيل الله؟ قال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" رواه أبو داود.

وتأمل كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم اختصر الجواب عن هذه التساؤلات وجعل مردها إلى جواب واحد دون أن يسهب ويتشعب في أجزاء السؤال، فقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"، فهو جواب للسائل ولغيره مهما اختلفت وتنوعت وتعددت النوايا، وهو منهج لكل عامل لدين الله.

١٢- أسلوب التطبيق العملي واستخدام الوسائل الإيضاحية:

ويفيد هذا الأسلوب في التصور الصحيح للمعلومة، ويشجع على استمرارية التعلم، وتثمر علاقة ودية بين المربي والمتربين، وتختصر كثيراً من الأفكار والكلمات، وهو فرع عن القدوة.

❖ نماذج:

- عن بريدة بن الحصيب قال: أن رجلاً سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن وقتِ الصلاة؟ فقال له: "صَلِّ معنا هذين (يعني اليومين) فلما زالتِ الشمسُ أمر بلالاً فأذّن، ثم أمره فأقام الظهرَ، ثم أمره فأقام العصرَ، والشمسُ مرتفعةٌ بيضاءً نقيّةً، ثم أمره فأقام المغربَ حين غابت الشمسُ، ثم أمره فأقام العشاءَ حين غاب الشفقُ، ثم أمره فأقام الفجرَ حين طلع الفجرُ، فلما أن كان اليومُ الثاني أمره فأبردَ بالظهرِ، فأبردَ بها فأنعَم أن يُبردَ بها، وصلّى العصرَ والشمسُ مرتفعةٌ، أحّرها فوق الذي كان، وصلّى المغربَ قبل أن يغيب الشفقُ، وصلّى العشاءَ بعد ما ذهب ثلثُ الليلِ، وصلّى الفجرَ فأسفرَ بها، ثم قال: "أين السائلُ عن وقتِ الصلاة؟" فقال الرجلُ: أنا، يا رسولَ الله! قال: "وَقْتُ صَلَاتِكُمْ بَيْنَ مَا رَأَيْتُمْ" رواه مسلم.

ويستفاد: أن تعليم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الرجل وقت الصلاة لم يكن بالتعليم النظري، بل عندما سأله عن وقت الصلاة دعاه أن يصلي معهم، فيراهم ويحصر وقت الصلاة لكل فريضة، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لما انتهت اليومان: "وَقْتُ صَلَاتِكُمْ بَيْنَ مَا رَأَيْتُمْ"، تأكيداً على أن الرجل قد تمكن مما سأل عنه.

- عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونحن شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا، فَأَخْبَرَنَا، وَكَانَ رَقِيقًا رَحِيمًا، فَقَالَ: "ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَعَلِمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيُؤَمِّمَكُم أَكْبَرَكُمْ" رواه البخاري.

وحدث مالك كما مر معنا دلالة على أهمية المعاشة والتعليم عبر النموذج العملي، فقال رسول الله: "صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي"، بل دعاهم الرسول لتعليم قومهم بالإقامة فيهم إشارة إلى جودة هذه الوسيلة فهم في الغالب لم يتقنوا الصلاة إلا بمشاهدته ومع ذلك كانت كافية في رتبة التعليم لدعوة قومهم.

- وعند مسلم أن عثمانَ بنَ عفانٍ رضيَ اللهُ عنه دعا بوضوءٍ فتوضأ، فغسل كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَرَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ، لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، عُفِّرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ". قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَكَانَ عُلَمَاءُنَا يَقُولُونَ: هَذَا الْوُضُوءُ أَسْبَغُ مَا يُتَوَضَّأُ بِهِ أَحَدٌ لِلصَّلَاةِ.

وأيضاً هذا رسول الله عليه الصلاة والسلام وبعده عثمان رضي الله عنه يسير على منهاجه فيعلم الناس الوضوء تعليماً عملياً ليكون أكثر وضوحاً وفهماً وتطبيقاً.

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ عَامِي هَذَا" صحيح الجامع.

ويستفاد: ندب رسول الله الناس لتعلم الحج عبر مفهوم القدوة والنموذج المشاهد، فيكون تعليماً عملياً. والناظر في أصول العبادات كان تعليمها عملياً كما مر معنا في الوضوء والصلاة والحج، وهذا يؤكد ثمره هذه الوسيلة ومدى جودتها وفعاليتها.

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مَرَبَعًا وَخَطًّا فِي وَسْطِ الْخَطِّ خَطًّا وَخَطًّا خَارِجًا مِنْ الْخَطِّ خَطًّا وَحَوْلَ الَّذِي فِي الْوَسْطِ خَطُوطًا فَقَالَ: "هَذَا ابْنُ آدَمَ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ الْإِنْسَانُ، وَهَذِهِ الْخَطُوطُ عَرُوضُهُ إِنْ نَجَا مِنْ هَذَا يَنْهَشُهُ هَذَا، وَالْخَطُّ الْخَارِجُ الْأَمَلُ" رواه الترمذي وصححه الألباني.

تأمل هذه الموعظة التي لم تكن بلسان بليغ وصوت جهوري، بل كانت بمشهد فيه من البساطة والتمثيل بالمحسوس ليصل بأسهل طريقة وأعمق معنى، ويؤدي ربما أكثر من مئة خطبة ومئة موعظة.

- عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا. وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا" رواه البخاري.

- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. وَشَبَّكَ أَصَابِعُهُ" رواه البخاري.
 - عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حريزًا بشماله، وذهبًا بيمينه، ثم رفع بهما يديه، فقال: " إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَيَّ دُكُورِ أُمَّتِي، حِلٌّ لِإِنَائِهِمْ" رواه ابن ماجه وصححه الألباني.
- ويستفاد من الأحاديث السابقة: أهمية استخدام الإشارة والوسائل الإيضاحية في تقريب المعنى وتسهيله، وكيف أن الرواة من الصحابة حفظوا تلك الوسائل كما حفظوا النص، فلم تفتهم الإشارة بالسبابة والتشبيك بالأصابع ورفع اليد.

١٣- أسلوب الجواب المناسب:

التربية عملية تفاعلية بين أي مربي ومتربي، وهي مسؤولة عن تعزيز المعاني والسلوكيات الصحيحة وتصويب الخاطئة وفق المنهج الشرعي، وبناء على ذلك فمن مفردات ما سبق أنها تتطلب كثيرًا من الأجوبة على استفهامات وتساؤلات المتربين، وهذه ظاهرة صحية إذا اختفت عن المحضن التربوي فهي نذير شؤم وتكلس وكساد في البضاعة، وإذا كانت الاستفسارات والتساؤلات كما هي حاضرة في حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم كانت دليل اهتمام ووصول الرغبة والاستجابة عند المتربي (انظر في هذا المبحث الأسلوب الثامن: مراعاة الفروق الفردية)، وعلى ذلك فأمام المربي مهمة أعظم من الإجابة على السؤال وهي كيف يجب؟! ولذا احترافية الإجابة باستخدام أسلوب السؤال المغاير أو الانتقال إلى جواب أشمل، أو الإجابة العملية كل ذلك يجعل أثرًا في المتربي أفضل مما كان يسأل عنه، وتلك وسيلة لا يهملها من علا في شأن التربية واستقام عوده فيها.

❖ نماذج:

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما يلبس المحرم من الثياب؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تلبسوا القُمصَ، ولا العمامَ، ولا السرويات، ولا البرانسَ، ولا الخفافَ، إلا أحدًا لا يجد النعلين فليلبس خفين، وليقطعهما أسفل من الكعبين، ولا تلبسوا من الثياب شيئًا مسّه الزعفران ولا الوردُ". رواه البخاري.

ويستفاد: الحذق في الإجابة، فلما سأل الصحابي عما يلبس المحرم أجابه بما لا يلبس المحرم؛ لأن حصر ما لا يلبس أقرب من حصر ما يلبس، فتأمل في واقعنا كيف يجيب المربي إذا سئل عما يجب أو ما يستطيع، أو ما يلزم السائل!

- عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: مشيتُ أنا وعثمانُ بنُ عفانَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا: يا رسولَ الله، أعطيتَ بنيَ المطلبِ وتركنا، ونحنُ وهم منكَ بمنزلةِ واحدةٍ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "إنما بنو المطلبِ وبنو هاشمٍ شيءٌ واحدٌ". رواه البخاري.

ويستفاد: أن رسول الله لم يسهب في الجواب أو يعيش في أجزاءه، بل اختصر لهم الجواب الشافي الكافي عن سؤالهم في تركه إياهم وهم يرون أنهم مثل بني عبد المطلب في النسب ومن ثم الحق في الأغطية.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يا رسول الله أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة قال: "يا أبا هريرة لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك، لما رأيته من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بها وجه الله" رواه البخاري.

فتأمل رد النبي صلى الله عليه وسلم على أبي هريرة: "لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك، لما رأيته من حرصك على الحديث"، وكيف أنه استحث همة أبي هريرة في العلم وكسر لديه حاجز الخجل والتوقف، وذلك قبل أن يجيبه، فتأمل!

- عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: أنهم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم مُحْرَمُونَ، وأبو قتادة مُحَلٌّ، وساق الحديث، وفيه: فقال: "هل معكم منه شيء؟" قالوا: معنا رجله، قال: فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلها. رواه البخاري ومسلم.

ويستفاد: الجواب البليغ لما سئل رسول الله عن جواز أكل صيد أبي قتادة فأخذ ما معهم منه وأكله ولم يكن الجواب بنعم أو لا؛ ليختصر لهم الطريق وليوجز لهم الجواب، فكيف يستثمر المرابي هذا الأسلوب إذا سئل عن جواز أمر وإباحته؟

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، متى الساعة قائمة؟ قال: "ويلك، وما أعددت لها"، قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله، قال: "إنك مع من أحببت"، فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: "نعم"، ففرحنا يومئذ فرحاً شديداً، فمرَّ عَلَامٌ للمغيرة وكان من أقراني، فقال: "إن أُخِّرَ هذا، فلن يُدركه الهرم حتى تقوم الساعة" رواه البخاري.

ويستفاد: نقل سؤال السائل إن كان غير مهم إلى ما هو أهم.

- عن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي رضي الله عنها، أنها جاءت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أحب الصلاة معك، فقال: "قد علمت أنك تُحِبِّين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خيرٌ من صلَاتِك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خيرٌ من صلَاتِك في دارك، وصلاتك في دارك خيرٌ من صلَاتِك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خيرٌ من صلَاتِك في مسجدي"، فَأَمَرَتْ، فَبُنِيَ لها مسجدٌ في أقصى شيءٍ من بيتها وأظلمه، فكانت تصلي فيه حتى لَقِيَتْ الله عز وجل. رواه ابن خزيمة وصححه الألباني.

ويستفاد: أن المجتهد الحريص إذا أتى سائلاً عن فاضل ومفضول فلا تُهمَل مشاعره ولا تهمش همته، فقد قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد علمت أنك تُحِبِّين الصلاة معي"، وليكن أيضاً التوضيح محل اهتمام عند البعض فلا يُهمَل، فقد سار معها النبي صلى الله عليه وسلم في جوابه بشيء من البسط والإيضاح، لكونها مجتهدة حريصة.

- عن عبيد الله بن عدي بن الخيار رضي الله عنه أن رجلين أخبراهُ أنهما أتيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يسألانِهِ الصدقةَ، فقلبَ فيهما النظرَ، فرأهما جليدين، فقال: "إن شئتما أعطيتكما، ولا حظَّ فيها لغني ولا لقويٍّ مكتسبٍ". رواه أحمد وأبو داود.

ويستفاد: أهمية معرفة حال السائل، فقد قلب فيهما النبي صلى الله عليه وسلم النظر قبل الجواب، وأيضاً كان الجواب لا يحمل اتهاماً أو تصريحاً بل تعريضاً وتلميحاً ووكلهما لنفسيهما، إذ ليس من الحكمة أحياناً الحكم على الشخص الحاضر أو إلزامه بما يراه المرئي، لا سيما إن كان الأمر لم يثبت ولم يتحقق، فهذان كانا بهذه المثابة سمعوا الجواب، وهما كفيلان بأنفسهما إن شاء أخذاً أو امتنعاً.

١٤ - أسلوب المزاح:

هذا الأسلوب سهل على صاحبه، خفيف على نفس متلقيه، كريم المرور، يترك أثراً جميلاً؛ لما يمتاز به من التعريض والتلميح، وإضفاء المودة، وروح الدعابة، ويراعى فيه عدم الكذب أو ترك الأثر السلبي في النفس بالتهكم أو التعبير وغيرها لا سيما وسط الجماعة، وأن لا يكون سجية عند المرئي فلا يُعرف جده من مزحه.

❖ نماذج:

- عن خوات بن جبير رضي الله عنه قال: نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ الظَّهْرانِ قال فخرَجْتُ من خبائي فإذا نسوةٌ يتحدَّثْنَ، فأعجَبَنِي فرجَعْتُ فاستخرَجْتُ عَيْبَتِي فاستخرَجْتُ منها حُلَّةً فلبِسْتُها، وحيثُ فجلَسْتُ معهنَّ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أبا عبد الله!"، فلَمَّا رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هَبْتُهُ واختَلَطْتُ قَلْتُ: يا رسولَ الله جَمَلٌ لي شَرَدَ وأنا أبتغي له قَيْدًا، فمضى وأتبعته فألقى إليَّ رِداءه، ودخل الأراك كَأَنِّي أنظرُ إلى بياضِ مَتْنِهِ في حُضْرَةِ الأراكِ، ففضى حاجته وتوضأ وأقبل والماءُ يسيلُ من لحيته على صدره، فقال: "أبا عبد الله ما فعل شِراذُ جَمَلِك؟"، ثم ارتحلنا، فجعل لا يَلْحُقُنِي في المسيرِ إلَّا قال: "السَّلَامُ عليك أبا عبد الله ما فعل شِراذُ ذلك الجَمَلِ"، فلَمَّا رأيتُ ذلك تعجَّلْتُ إلى المدينة واجتَنَبْتُ المسجدَ ومجالسةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فلَمَّا طال ذلك تحيَّنتُ ساعةَ خلوةِ المسجدِ فخرَجْتُ إلى المسجدِ وقُمتُ أُصَلِّي، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعضِ حُجرِهِ فجاء فصلَّى ركعتينِ خفيفتين وطَوَّلْتُ رَجاءً أن يذهبَ ويَدْعَنِي، فقال: "طَوَّلُ أبا عبد الله ما شئتُ أن تُطَوَّلَ فَلَسْتُ قائماً حتى تنصِرفَ"، فقلْتُ في نفسي: والله لأعتدِرَنَّ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ولأُبَرِّئَنَّ صدرَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. فلَمَّا انصرفتُ، قال: "السَّلَامُ عليك أبا عبد الله ما فعل شِراذُ جَمَلِك؟"، فقلْتُ: والذي بعثك بالحقِّ ما شردَ ذلك الجَمَلُ منذُ أسَلَمْتُ فقال: "رحمك الله ثلاثاً" ثم لم يعدْ لشيءٍ ممَّا كان. مجمع الزوائد.

وتأمل كيف عالج النبي صلى الله عليه وسلم مشكلة خوات عبر المزاح حفظاً لماء وجهه ورعاية لنفسه، فالأصل إحسان الظن مع إصلاح الخطأ، لا اعتراف المخطئ أو كشف المخفي.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أن رجلاً من أهل البادية يُقال له زاهر بن حرام كان يُهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم الهدية فيجهره رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن زاهراً بديننا ونحن حاضروه"، قال: فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه والرجل لا يُبصره فقال: "أرسلني، من هذا؟" فالتفت إليه فلمّا عرف أنه النبي صلى الله عليه وسلم جعل يُلزق ظهره بصدرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يشتري هذا العبد؟" فقال زاهر: تجديني يا رسول الله كاسداً قال: "لكنك عند الله لست بكاسدٍ" أو قال صلى الله عليه وسلم: "بل أنت عند الله عالٍ". رواه ابن حبان.

ويستفاد: كيف أن بالمرح يستطيع المرابي أن يغرس شعبة من الإيمان، وكيف أن رسول الله استطاع ذلك بعد أن بين أن الظاهر ليس حكماً على ما بين الإنسان وربه، وأن قيمته قد تختلف عند الناس وهو عند الله شيئاً آخر، وكل ذلك كان عبر المزاح.

- وروى: أن أتت عجوزٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال: "يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوزٌ"، قال: فولت تبكي، فقال: "أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوزٌ إن الله تعالى يقول: {نَا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) غُرُبًا أَتْرَابًا} الواقعة". السلسلة الصحيحة. وتأمل في هذا المزاح الصادق العفيف ووجوده في حياة أكرم الخلق وأكثرهم همماً بأمته ورحمة بهم.

خامساً: الخاتمة:

في ختام هذا الموضوع المهم أجدني في حاجة إلى تقرير كثير من الأساليب في غرس هذه الشعب لا سيما سنة الرسول صلى الله عليه وسلم شاهدة على أفضل وأجود وأدق وأعمق وسائل البناء والتعزيز مع اختلاف الأحوال والظروف.

وكذلك نؤكد على أن مما يعيق عملية غرس شعب الإيمان المفاهيم والاتجاهات الخاطئة عند المرابين، وضعف الإمام بخصائص النمو ومعرفة وفهم واقع البيئات المختلفة، وأيضاً ضعف الممارسة في استخدام وتطبيق جل الوسائل، ويزيد على ذلك نقص المعرفة، وضعف صلاحيته كقدوة صالحة لتأسيس تلك الشعب، وأيضاً عدم اعتبار أثر الأسرة حيال تأسيس بعض المفاهيم، إذ نجد أسرة يظهر عليها التدين وأخرى مخالفة، بالتالي إهمال هذا الاعتبار أمانة على ضيق الأفق لدى المرابي فقد يؤدي لاتساع الفجوة مع بعض المترابين، ومن ثم لا يستوعب جمهور المترابين، ومما يعيق غرس هذه الشعب أن المرابي قد لا يعطيها أهمية عالية في التفكير والوقت والكيفية، مما يجعله رهن وقته الزائد، ووفق طبيعته التي انسجم عليها، فتكون العواقب وخيمة.

أخيراً .. إننا مطالبون أمام القوى المناهضة لهذه الشريعة بعمل أكثر جودة وإتقان، وهذا الدين قد كفل لنا بمرجعية عالية الشأن صحيحة السند، عظيمة المتن، ليس لنا الفضل فيها في الجملة، ولكن المسؤولية علينا في بحث الوسائل

ذات الجدة، والأثر الإيجابي والتي توصل مقاصد الشريعة وفروعها ومعانيها بأيسر الوسائل وأنفعها وأسهلها على النفس، وهذا لا يكون إلا بتوفيق الله أولاً ثم كد الذهن والنفس في أعمال ذلك، والسير عليه.
وكتبه سعيد بن محمد آل ثابت

الفهرس

٣	أولاً: المقدمة:
٥	ثانياً: شعب الإيمان:
٦	الإيمان شعب، والكفر شعب:
٨	ثالثاً: دور المرابي في غرس شعب الإيمان:
٨	رابعاً: لمحات للمنهج النبوي في غرس شعب الإيمان:
٩	1- أسلوب القدوة:
١٠	2- أسلوب القصة:
١٢	3- أسلوب الوعظ والإرشاد:
١٣	4- الترغيب والترهيب:
١٥	5- ضرب الأمثال:
١٧	6- التربية بالأحداث:
١٩	7- الحوار والمناقشة:
٢٠	8- مراعاة الفروق الفردية:
٢٢	9- أسلوب إثارة الانتباه:
٢٤	10- أسلوب الأعمال الجماعية التشاركية:
٢٥	11- أسلوب جوامع الكلم، ومنها العدد والتفصيل:
٢٨	12- أسلوب التطبيق العملي واستخدام الوسائل الإيضاحية:
٣٠	13- أسلوب الجواب المناسب:
٣٢	14- أسلوب المزاح: